بسم الله الرحمن الرحيم

المَسْؤُولِيَّةُ الاجتِمَاعِيَّةُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ الإِنْسَانَ مَدَنِيًّا بِطَبْعِهِ، اجتِمَاعِيًّا بِفِطْرَتِهِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَنَا بِالإِحْسَاسِ بِمَشَاعِرِ الآخَرِينَ، وَحَثَّنَا عَلَى الإِيثَارِ مُرَاعَاةً لِلْمُحتَاجِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، عَاشَ لِمُجتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، وَصَرَفَ لِذَلِكَ عَظِيمَ هِمَّتِهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ وَطَرِيقَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-؛ فَإِنَّهَا الطَّرِيقُ إِلَى عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، وَاعلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ المُسلِمَ الحَقَّ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي يُعايِشُ وَاقِعَهُ وَمُجتَمَعَهُ، يُؤَثِّرُ إِيْجَابِيًّا فِي الآخَرِينَ، وَيَتَأَثَّرُ صَلاحًا بِسُلُوكِ الصَّالِحِينَ، وَلأَجلِ غَرْسِ هَذِهِ المَبَادِئِ النَّبِيلَةِ جَاءَ الخِطَابُ القُرآنِيُّ بِصِيغَةِ الجَمَاعَةِ، نَحْوُ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[١]، وَقَولِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[٢]، وَفِي سُورَةِ الفَاتِحَةِ يُخَاطِبُ المُسلِمُ رَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ فِي تَوجِيهِهِ العِبَادَةَ، وَعِنْدَ الاستِعَانَةِ وَطَلَبِ الهِدَايَةِ، يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِنْهُ فِي جَمِيعِ رَكَعَاتِ صَلاتِهِ، وَلا يُعْدَمُ فِي ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَمُنَاجَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[٣]، وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لِيَتَأَصَّلَ فِي نُفُوسِ المُؤْمِنِينَ أَلاَّ مَكَانَ لِلْفَرْدِيَّةِ، وَلا مَوقِعَ فِي قَامُوسِهِمْ لِلأَنَانِيَّةِ، فَهُمْ لُحْمَةٌ وَاحِدَةٌ كَالجَسَدِ الوَاحِدِ، يُحِبُّ كُلٌّ مِنْهُمْ لِلآخَرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ، مَعَ مُرَاعَاةِ المَصَالِحِ الكُلِّيَّةِ الجَامِعَةِ لِمَصَالِحِهِمْ كُلِّهِمْ.

أَيُّهَا المُؤمِنونَ:

---

(١) سورة البقرة / ١٠٤ .

(٢) سورة البقرة / ٢١ .

(٣) سورة آل عمران / ١٩٣ .

إِنَّ المُسلِمَ يَنْطَلِقُ فِي أُمُورِهِ مِنْ مُنْطَلَقِ الإِحْسَاسِ بِالمَسْؤُولِيَّةِ الاجتِمَاعِيَّةِ، فَهُوَ حَتَّى فِي تَصَرُّفَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ يُرَاعِي مَشَاعِرَ غَيْرِهِ، يَحْفُظُهُمْ بِنَفْعِهِ، وَيَمنَعُ عَنْهُمْ أَذَاهُ، يَقُولُ ﷺ : ((المُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))، فَهُوَ يُدْرِكُ أَنَّ حُرِّيَّتَهُ تَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ حُرِّيَّاتِ الآخَرِينَ، فَلا يُزْعِجُ الآمِنِينَ، وَلا يَعتَدِي عَلَى حُقُوقِ المُسَالِمِينَ، وَالمُتَأَمِّلُ لِلأَوَامِرِ الدِّينِيَّةِ، يَجِدُهَا تُولِي مَشَاعِرَ الآخَرِينَ بَالِغَ الأَهَمِّيَّةِ، فَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَصِيَّتِهِ بِالجَارِ قَولُهُ: ((أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الجَارِ؟ إِنِ استَعَانَكَ أَعنْتَهُ، وَإِنِ استَقْرَضَكَ أَقْرَضتَهُ، وَإِنْ مَرِضَ عُدتَهُ، وَلا تَستَطِلْ عَلَيْهِ بِالبِنَاءِ فَتَحْجِبَ الرِّيحَ عَنْهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَإِنِ اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ، وَلا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ قِدْرِكَ إِلاَّ أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا)). إِنَّ قَضَايَا الطَّعَامِ وَالبِنَاءِ قَدْ تَبدُو فِي الوَهْلَةِ الأُولَى مِنْ أَخَصِّ خُصُوصِيَّاتِ الفَرْدِ، تَتَّسِعُ فِيهَا حُرِّيَّتُهُ الشَّخْصِيَّةُ، يَأْكُلُ وَيَلْبَسُ وَيَبنِي كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَكِنَّ الإِسْلامَ يَضَعُ لِحُرِّيَّةِ الأَشْخَاصِ فِي هَذِهِ الخُصُوصِيَّاتِ حُدُودًا يَنْتَهِي مَدَاهَا عِنْدَ حُدُودِ مَشَاعِرِ الآخَرِينَ، فَحُرِّيَّةُ الشَّخْصِ فِي البِنَاءِ تَنْتَهِي عِنْدَمَا تَضُرُّ بِجِيرَانِهِ، وَحُرِّيَّتُهُ فِي اللِّبَاسِ تَنْتَهِي يَوْمَ تَخْدِشُ مَشَاعِرَ أَقْرَانِهِ، وَحُرِّيَّتُهُ فِي الطَّعَامِ تَنْتَهِي حِينَ تُؤْذِي أَحَاسِيسَ إِخْوَانِهِ، هَكَذَا هِيَ عَدَالَةُ الإِسْلامِ، عَدَالَةٌ تَضْمَنُ لِلْجَمَاعَةِ التَّقْدِيرَ وَالاحتِرَامَ، لا مَجَالَ فِيهَا لِلْعَبَثِ وَاللَّعِبِ، وَلا مَوقِعَ فِيْهَا لِلأَذَى وَالضَّجِيجِ وَالصَّخَبِ، حَتَّى الصَّوتُ لَهُ حُدُودٌ وَآدَابٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾(١)، فَلا يَصِحُّ مُضايَقَةُ النَّاسِ بِالأَصواتِ المُزْعِجَةِ، خُصُوصًا إِذا وَقَعَتْ وَقْتَ الرَّاحَةِ والنَّومِ، فَإِنَّ لِلنَّاس حَقّاً فِي الاستِراحَةِ فِي بُيوتِهم، بَلْ إِنَّ نَظَرَ العَيْنَيْنِ لَهُ حُدُودٌ وَقَوَانِينُ، تَقِفُ فِيهَا حُرِّيَّةُ الشَّخْصِ عِنْدَ حُرُمَاتِ الآخَرِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾(٢)، هَذَا هُوَ مَنْهَجُ الإِسْلامِ فِي الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، حُقُوقٌ وَوَاجِبَاتٌ، وَحُرِّيَّةٌ مَضْبُوطَةٌ بِقَوَاعِدَ وَالتِزَامَاتٍ.

(١) سورة لقمان / ١٩ .

(٢) سورة النور / ٣٠ .

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ الأُسْرَةَ هِيَ اللَّبِنَةُ الأُولَى فِي بِنَاءِ المُجتَمَعِ، إِلَيْهَا يَنْتَمِي أَفْرَادُهُ، وَفِي صَلاحِهَا خَيْرُهُ وَإِسْعَادُهُ، وَالمُسلِمُ مُطَالَبٌ بِمُرَاعَاةِ أُسْرَتِهِ فِي تَصَرُّفَاتِهِ، وَاعتِبَارِ حَاجِيَّاتِهَا فِي نَفَقَاتِهِ، فَهِيَ أَولَى مَنْ يَجِبُ إِسْدَاءُ المَعْرُوفِ إِلَيْهِ، وَأَجْدَرُ مَنْ يَخُصُّهَا بِمَا لَدَيْهِ، سَوَاءً فِي ذَلِكَ المَنَافِعُ المَعنَوِيَّةُ أَوِ المَادِّيَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[2]، هَذَا وَإِنَّ مِمَّا يَحُزُّ فِي النَّفْسِ أَنْ تَرَى مُبَذِّرًا فِي نَفَقَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، وَمُسْرِفًا فِي عَلاقَاتِهِ الخَارِجِيَّةِ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ مُقَصِّرًا فِي وَاجِبَاتِهِ الأُسْرِيَّةِ، يَصْرِفُ مَالَهُ فِي مَلَذَّاتِهِ، وَيَقْضِي وَقْتَهُ مُهْمِلاً لِبَنِيهِ وَزَوْجَتِهِ وَبَنَاتِهِ، إِنَّ هَذَا سُلُوكٌ يَمقُتُهُ الإِسْلامُ، وَيَعُدُّهُ مِنَ الآثَامِ، جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))، وَعَنْ سَعْدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: جَاءَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: لا، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ: لا، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ قال: ((الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ)).

إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

إِذَا فَرَغَ المَرْءُ مِنَ التِزَامَاتِهِ الأُسْرِيَّةِ، بِتَوفِيرِ حَاجِيَّاتِهَا الضَّرُورِيَّةِ؛ فَهُنَا وَجَبَ عَلَيْهِ الالتِفَاتُ إِلَى مُجتَمَعِهِ لِيُسْهِمَ فِي مَشَارِيعِهِ الخَيْرِيَّةِ، الَّتِي يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَى الجَمِيعِ، فَيُشَارِكُ فِيهَا بِقَدرِ مَا يَستَطِيعُ. إِنَّ المَنَافِعَ العَامَّةَ فِي المُجتَمَعَاتِ، يَضْطَلِعُ بِهَا أَصْحَابُ الهِمَمِ العَالِيَاتِ، الشَّاكِرُونَ لِفَضلِ أُمَّـتِهِمْ، الذَّاكِرُونَ لِإِحْسَانِ مَنْ حَولَهُمْ، وَلَهَا فِي الإِسْلامِ مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ، وَمَكَانَةٌ سَامِيَةٌ، قَدْ مُيِّزَتْ بِاستِمْرَارِ الأَجْرِ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، لا يَنْقَطِعُ عَنْ مُخلِصِهَا تَدَفُّقُ الحَسَنَاتِ، لِذَا حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا، وَرَغَّبَ فِيهَا، فَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوتِهِ: مَنْ عَلَّمَ

(١) سورة الشعراء / ٢١٤ .

(٢) سورة البقرة / ٢١٥ .

عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلاً، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَستَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوتِهِ))، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُما – أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَستَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالاً قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ ﷺ : ((إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصلَهَا، وتَصدَّقْتَ بِهَا))، قَالَ جَابِرٌ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: ((مَا أَعلَمُ أَحَدًا كَانَ لَهُ مَالٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِلاَّ حَبَسَ مَالاً مِنْ مَالِهِ صَدَقَةً مُؤَبَّدَةً، لا تُشْتَرَى أَبَدًا وَلا تُوهَبُ وَلا تُورَثُ))، وَعَنْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ فِي هَذَا المَجَالِ حَدِّثْ وَلا حَرَجَ، فَقَدْ وَقَفَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – دَارَهَا صَدَقَةَ حَبْسٍ لا تُوهَبُ وَلا تُورَثُ، وَتَصَدَّقَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَرْضِهَا حَبْسًا لا تُبَاعُ وَلا تُوهَبُ وَلا تُورَثُ، فَيَا مَنْ تَبْحَثُونَ عَنْ أَفْضَلِ وَسِيلَةٍ لِتَثْمِيرِ الأَمْوَالِ: هَذَا خَيْرُ سُبُلِهَا، أَرْبَاحُهُ فِي الدُّنْيَا سَكِينَةٌ فِي النَّفْسِ، وَطُمَأْنِينَةٌ فِي القَلْبِ، وَبَرَكَةٌ فِي العُمُرِ وَالرِّزقِ وَالبَدَنِ، وَالزَّوْجَةِ وَالوَلَدِ، وَرَحْمَةٌ وَمَحَبَّةٌ فِي قُلُوبِ الخَلْقِ، وَمَنَافِعُهُ فِي الآخِرَةِ ثَوَابٌ مَوصُولٌ لا يَنْقَطِعُ، وَإِنَّنَا نُهِيبُ بِالتُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الأَمْوَالِ، أَنْ يُسْهِمُوا فِي مُؤَسَّسَاتٍ وَقْفِيَّةٍ تَرْعَى الضُّعَفَاءَ وَالمُحتَاجِينَ وَالعَجَزَةَ وَغَيْرَهُمْ، إِنَّ سُرُورًا تُدخِلُونَهُ عَلَى قَلْبِ إِنْسانٍ، وَفَرْحَةً تَمْسَحُونَ بِهَا كَرْبَ مَكْرُوبٍ، أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ تَهَجُّدٍ وَعُمْرَةٍ وَصِيَامٍ، وَلَهَا لَذَّةٌ وَفَرْحَةٌ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ الكَنْزِ وَالادِّخَارِ، لأَمْوَالٍ مَصِيرُهَا إِلَى الوَرَثَةِ ثُمَّ إِلَى التُّرَابِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَتَحَمَّلُوا مَسْؤُولِيَّاتِكُمُ الاجتِمَاعِيَّةَ، وَلتَكُنِ النُّفُوسُ سَخِيَّةً، وَالأَيْدِي بِالخَيْرِ نَدِيَّةً، فَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدِهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الخَلاقِ، وَهَبَنَا الخَيْرَاتِ وَالأَرزَاقِ، وَأَمرَنَا بِالاعتِدَالِ فِي الإِنْفَاقِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيرِ النذير، نهى عن الإسراف والتبذير، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ المَسْؤُولِيَّةَ الاجتِمَاعِيَّةَ تِجَاهَ المَشَارِيعِ الخَيْرِيَّةِ، وَالمُقَدَّرَاتِ الوَطَنِيَّةِ، لا تَقْتَصِرُ عَلَى التَّأْسِيسِ وَالإِيْجَادِ، بَلْ تَشْمَلُ المُحَافَظَةَ عَلَى المَوْجُودِ مِنَ النَّفَادِ، وَحِمَايَتَهُ مِنْ أَيْدِي العَبَثِ وَالفَسَادِ، وَلِتَحقِيقِ ذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى المُستَفِيدُونَ مِنَ الخِدْمَاتِ، بِأَعلَى دَرَجَاتِ المَسْؤُولِيَّةِ وَالالتِزَامِ، وَالاقْتِصَادِ فِي استِعْمَالِ كُلِّ مَرْفِقٍ عَامٍّ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الخِدْمَاتِ وَالمُنْجَزَاتِ، خِدْمَاتِ المَاءِ وَالكَهْرَبَاءِ، فَالمَاءُ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ لأَنَّهُ شِرْيَانُ الحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(١)، وَلَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنِ الإِسْرَافِ فِي المَاءِ فِي القُرآنِ العَظِيمِ، وَنُصُوصِ سُنَّةِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٢)، فَإِذَا كَانَ النَّهْيُ عَنِ الإِسْرَافِ فِي استِعْمَالِ المَاءِ لِلشَّرَابِ، فَكَيْفَ بِغَيْرِهِ مِنَ الاستِعمالاتِ؟ وَكَذَلِكَ الكَهْرَبَاءُ فَهِيَ فِي مُقَدِّمَةِ الخِدْمَاتِ، بِهَا تَعْمَلُ المَصَانِعُ وَالمُستَشْفَيَاتُ وَسَائِرُ المُؤَسَّسَاتِ، وَتُنَارُ البُيُوتُ وَالطُّرُقَاتُ، بَلْ لا يَكَادُ مَرْفِقٌ مِنْ مَرَافِقِ الحَيَاةِ إِلاَّ تَدْخُلُ الكَهْرَبَاءُ فِي تَشْغِيلِهِ، فَمِنَ ظُلْمِ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَةِ، الإِسْرَافُ وَالإِضَاعَةُ فِي هَذَيْنِ المُنْجَزَيْنِ، وَلا يَستَهِنِ الإِنْسَانُ بِاستِعْمَالٍ قَدْ يَرَاهُ قَلِيلاً، فَالقَلِيلُ إِلَى القَلِيلِ يَصِيرُ كَبِيرًا وَجَلِيلاً، وَإِنَّ مِنْ تَعَالِيمِ دِينِنَا الحَنِيفِ الاقْتِصَادَ فِي الاستِعْمَالِ وَعَدَمَ الإِهْمَالِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَصُونُوا مُنْجَزَاتِكُمْ، وَاقْتَصِدُوا فِي استِعْمَالِ خَيْرَاتِكُمْ؛ تَهنَؤُوا فِي حَيَاتِكُمْ وَمَعَادِكُمْ.

---

(١) سورة الأنبياء / ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف / ٣١ .

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .